

تاج العروس من جواهر القاموس

وأَدْرَكَ الشَّيْءَ أَيْضاً : إِذَا فَنَى حَكَاهُ شَمِرٌ عَنِ اللَّيْثِ قَالَ : وَلَمْ أَسْمَعْهُ
لِغَيْرِهِ وَبِهِ أَوَّلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : " بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ " أَي فَنَى عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ
قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَمَا عَلِمْتُ أَحَدًا قَالَ : أَدْرَكَ
الشَّيْءَ : إِذَا فَنَى فَلَا يُعَرِّجُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ وَلَكِنْ يُقَالُ : أَدْرَكَتِ الثَّمَارُ :
إِذَا بَلَغَتْ إِينَاهَا وَانْتَهَى نُضْجُهَا . قُلْتُ : وَهَذَا الَّذِي أَنْكَرَهُ الْأَزْهَرِيُّ عَلَى
اللَّيْثِ فَقَدْ أَثْبَتَهُ غَيْرٌ وَاحِدٍ مِنَ الْأَثْمَةِ وَكَلَامُ الْعَرَبِ لَا يَأْبَاهُ ؛ فَإِنْ
انْتَهَاءَ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ إِذَا قَالُوا أَدْرَكَ الدَّقِيقُ فَبِأَيِّ شَيْءٍ يُفَسَّرُ ؟
أَيُّقَالَ إِنَّهُ مِثْلُ إِدْرَاكِ الثَّمَارِ وَالْقِدْرِ . وَإِنَّمَا يُقَالُ انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ
فَفَنَى قَالَ ابْنُ جِنِّي فِي الشُّوَاذِ : أَدْرَكَتُ الرَّجُلَ وَأَدْرَكَتُهُ وَأَدْرَكَتِ الشَّيْءَ
: إِذَا تَتَابَعَ فَفَنَى وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : " إِنَّ لِمُدْرِكُونَ " وَأَيْضاً
فَإِنَّ الثَّمَارَ إِذَا أَدْرَكَتْ فَقَدْ عُرِضَتْ لِلْفَنَاءِ وَكَذَلِكَ الْقِدْرُ وَكُلُّ شَيْءٍ
انْتَهَى إِلَى حُدُودِهِ فَالْفَنَاءُ مِنْ لَوَازِمِ مَعْنَى الْإِدْرَاكِ وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ تَفْسِيرُ
الْحَسَنِ لِلآيَةِ عَلَى مَا يَأْتِي فَتَأْمَلْ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا
فِيهَا جَمِيعاً " أَمْلَهُ تَدَارَكُوا فَأُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الدَّالِ وَاجْتَلَبَدَتْ الْأَلْفُ
لِيسْلَمَ السُّكُونُ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ بَلْ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي
الْآخِرَةِ " قَالَ الْحَسَنُ فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ : أَي جَهَلُوا عِلْمَهَا وَلَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ
مِنْ أَمْرِهَا كَذَا فِي النَّسَخِ وَفِي بَعْضِ الْأُصُولِ فِي أَمْرِهَا قَالَ ابْنُ جِنِّي فِي
الْمُحْتَسَبِ : مَعْنَاهُ أَسْرَعُ وَخَفَّ فَلَمْ يَثْبُتْ وَلَمْ تَطْمَئِنَّ لِلْيَقِينِ بِهِ قَدَمٌ .
قُلْتُ : فَهَذَا التَّفْسِيرُ تَأْوِيلٌ لِمَا نَقَلْتَهُ عَنْ شَمِرٍ عَنِ اللَّيْثِ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ . قَرَأَ
شُعْبَةُ وَنَافِعٌ " بَلْ ادَّارَكَ " وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو " بَلْ أَدْرَكَ " وَهِيَ قِرَاءَةٌ
مُجَاهِدِي وَأَبِي جَعْفَرِ الْمَدَنِيِّ وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ " بَلَى
أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ " ؟ يَسْتَفْهِمُ وَلَا يُشَدِّدُ فَأَمَّا مَنْ قَرَأَ " بَلْ ادَّارَكَ "
فَإِنَّ الْفَرَاءَةَ قَالَ : مَعْنَاهُ لُغَةٌ فِي تَدَارَكَ أَي تَتَابَعَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ .
يُرِيدُ بِعِلْمِ الْآخِرَةِ تَكْوِينَ أَوْ لَا تَكْوِينَ وَلِذَلِكَ قَالَ : " بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا
بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ " قَالَ : وَهِيَ فِي قِرَاءَةِ أُبَيِّ أَمُّ تَدَارَكَ وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ
بَلْ مَكَانَ أَمٍّ وَأَمٌّ مَكَانَ بَلٍّ إِذَا كَانَ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ اسْتَفْهَامٌ مِثْلُ

قَوْلِ الشَّاعِرِ : .

فوالله ما أدري أسلامي تغوّّلت ... أم اليوم أم كل إليّ حبيب
معدني أم بلّ وقال أبو معاذ النحويّ : ومَنْ قرأ : " بلّ أدرك " و
بلّ ادرك " فمعناها واحدٌ يقول : هم علماء في الآخرة كقوله تعالى :
أسمع بهم وأبصر يومَ أتوننا " ونحو ذلك قال السديّ - في تفسيره -
قال : اجتمع علماء في الآخرة ومعناها عند أي علماء في الآخرة أن
الذي كانوا يؤعدون به حقّ وأزّشد للأخطل : .
وأدرك علمي في سواة - أزّها ... تُقيم على الأوتار والمشرب
الكدر